الفصل الخامس عشر
"جريمة قتل"

لم يكن هشام متوقعًا غضب اللواء على هذه الشاكلة، وتوبيخه الغير مبرر:

- دي تاني مرة يا هشام ترفع مسدسك، وفين؟ قُدّام حرم جامعي، عشان يتقال علينا بنرهب الطلبة كمان.. أي فعل بتعملُه محسوب على الجهاز كله يا سيادة الرائد، وأظن إنك مش مستنّي أفكّرك بده.

انتظر هشام حتى يفرغ اللواء ما في جعبته، ثم أردف بنبرة هادئة لكنها دفاعية:

- يا فندم، واضح إن الموضوع وصل لحضرتك بشكل خطأ، أنا ماكنتُش بهدّد ولا برهِب، أنا كنت بطارد شخص ملثّم.. أيوَه يافندم كان فيه حد مصوّب المسدس على جنّة؛ عشان كده ضرَبْت نار، وبعدها طاردتُه بالعربية، بس للأسف قدِر يهرب.

اندهش اللواء قليلًا، ثم تساءل:

- امم، وتفتكر ده نفس الشخص اللي بيساعد كارولين؟

التمعت عينا هشام ببريق ماكر، ثم قال:

- لا يا فندم.. دي كانت كارولين نفسها.

بعد القليل من المباحاثات، والنقاشات التحليلية، خرج هشام من مكتب اللواء متجهًا إلى مكتبه، حينئذ وردَه اتصال من لارا.

زفر طويلًا، وردَّ بجمود:

- أيوَه يا لارا؟ خروج إيه بس! بعدين يا لارا بعدين، عندي شغل مهم.. سلام.

أغلق معها المكالمة، يهزّ رأسه حنقًا، ثم أكمل طريقه، وما إن دلف واستقرّ على مكتبه، وتبعه سامر وجمال حتى دخل محمود قائلًا:

- اتفضل يا هشام بيه، دي معلومات العربية اللي حضرتك طلبتها.

تناولها هشام على عجلة وأخذ يراجع التقرير على مهل، ثم قال:

- يعني طلعِت عربية متأجرة!

- بالظبط كده يا فندم، وعنوان الأجانْس مُرفَق عند حضرتك، أما العربية فلقيناها مركونة تحت كوبري الدقّي.

أومأ هشام موافقًا قائلًا:

- طيب، اتفضل انت.

- تحت أمرك يا فندم.

أطلع هشام رفيقيه في القضية على مضَضٍ على كل ما حدث، وجعلوا يتشاورون ويتباحثون، كلٌّ يدلي برأيه، لكن ما من نتيجة حتمية.

كلّفَهم هشام ببعض الأمور، وانصرفوا.

مر ثلاث ساعات وما زال هشام يتفحص التقارير برويّة ودقة، يحدِّث نفسه بصوت عالٍ يحلّل الموقف بين يديه، يفكر بعقلية كارولين تارة وسامر مرة أخرى، حينذاك وردته رسالة هاتفية أخرجته من تركيزه؛ فأطلق زفيرًا

غاضبًا، متوقعًا أنها من لارا، وما إن التقط هاتفه وتراءَى له اسم صاحبة الرسالة حتى تلاشى الانزعاج عن وجهه وانتشى مفرجًا عن بسمة حالمة، ثم فتح الرسالة:

"أنا آسفة.. ماكَانش قصدي أتسبّب في كل اللي حصل ده".

هدّأت تلك الرسالة من ثائرته، وتركت أثرًا مليحًا في نفسه، وعزم على الرد عليها، لكنه الْتهَى في تلك الإخبارية التي نزلت عليه كالصاعقة:

- يا فندم يا فندم!
- فيه إيه يا جمال؟
- صاحب معرض العربيات لقُوه مقتول في شقته.
- إيه؟! ازّاي وامتى؟
- لسه من ساعة بالظبط، والشرطة بتحقّق في موقع الجريمة.
- طيب أنا رايح حالًا.. لازم نعرف كل التفاصيل بالظبط.

غادر هشام رأسًا إلى منزل صاحب المعرض، واستقبلَه الضابط الموكّل بالتحقيق في تلك القضية:

- هشام باشا.
- أهلا يا سيادة النقيب.
- خير يا فندم؟ يعني غريب أشوف حضرتك هنا.
- المجني عليه يخصّنا في قضية مهمة بتهدّد الأمن العام.. هو اتقتل ازّاي؟

أخذ الضابط هشام إلى أماكن ملابسات الواقعة، وجعل يشرح له:

- الواضح إن القاتل كان داخل بنية السرقة، يعني المجني عليه راجل أعزب رغم سنه الكبير وعايش لوحده، والواضح إنه كان فيه هجوم من الجاني ودفاع من المجني عليه، وده واضح في آثار الضرب وآثار الأقدام في أماكن مختلفة من الشقة؛ يعني كانوا بيتخانقوا لحد ما الجاني نزِل بقوة كبيرة بسلاح الجريمة -وهو أجَنَة- على دماغ المجني عليه ومات.

- اممم، وممكن يكون اللى عمل كده حدّ روحُه في إيده أو بيهدّده بحاجة.

- ممكن يا فندم، وخاصة إن القتيل كان حسَب كلام الجيران مشيُه بطّال وبيجيب ستات على طول البيت.

- طب تعالى نشوف دكتور الطب الشرعي.

- اتفضل حضرتك.

كان ذلك هو رأى الطبيب الجنائي:

- المجني عليه تلقّى ضربة قويّة تسبّبَت في تهشيم الجمجمة في الحال، وعملت صدع عميق أدّى لوفاته.

سأله هشام:

- طب الضربة دي ترجح من راجل ولا ست؟

- لا يا فندم، ميّة في الميّة راجل، وبنيته قوية، وطوله لا يقل عن ١٨٥ سم.

فغر هشام فاهُ، وتوسّعَت حدقتاه دهشة، وابتدر متسائلًا:

- متأكد يا دكتور؟ يعني مش ممكن يبقى أقصر من كده شوية، عشرة سم مثلًا؟

- ده مستحيل يا فندم، الارتفاع اللي نزلِت بيه الأجَنة على دماغ المجني عليه عمرها ما تكون من شخص أقل من ١٨٥ سم.

تخبّطَت الأفكار برأس هشام معلنة ظهور دليل جديد يبدّد اتهام سامر وتورطه في الخيانة؛ ففكر هل يمكن أن يكون استأجرَ أحدهم، لكنه سرعان ما نفض تلك الفكرة بعيدًا؛ فهو لن يجازِف بأن يعرف وغدٌ آخر سرّه.. ماذا يحدث إذن؟!

*****

عاد هشام إلى المنزل شارد الذهن، تَجُبُّ الأفكار برأسه سابقتها، وما أتى كان أعظم؛ فكانت منيرة لم تنَم بعد وتنتظر عودته على أحرّ من الجمر، حتى ما إن رأته تركت التلفاز ومسلسلها الهندي المفضّل، وردت عليه التحية ثم استوقفته قبل أن يدلف غرفته قائلة:

- هشام، استنى عايزاك في موضوع مهم.

جلسا الاثنان، وبدأت تسرد عليه منيرة طلبها حتى صاح:

- حفلة خطوبة إيه دي اللي عايزاني أعملها يا منيرة؟! أنا في إيه ولا في إيه!

- يا حبيبي البنت من حقها تفرح، يعني أول مرة لبّستها الدبلة كده ع الساكت، وبعد مارجعتوا لبعض لبستهالْها هنا في بيتك، مش الأصول دي يا ابني، وبعدين هي مش أي واحدة ولا مخطوبة لأي حد، ومن حقّها يتعملّها حفلة كبيرة الناس كلها تحكِي وتتحاكَى بيها.

- بعدين يا منيرة بعدين.. أنا عندي مشاكل كتير في الشغل ومش فاضي أفكّر في الحاجات دي.

- يا حبيبي انتَ مش هتفكر في حاجة، سيب كل حاجة عليّا، انتَ بس قولّي المعاد اللي يناسبك عشان أتفق معاهم.

وهكذا لم يعد هناك مفرًا لهشام أمام عِناد منيرة؛ فاتفق معها على الموعد بحيث يكون في بداية الشهر المقبل.

نهض هشام قاصدًا غرفته، يعتريه الأسى والألم؛ فكان في قرارة نفسه يدرك جسامة خطأ ارتباطه بـ"لارا"، وأنها ليست الفتاة المناسبة له، وليس بوسعه إمدادها بأية عاطفة أو إسكان القليل من الحب بفؤاده لها، لكنه رغم ذلك لم يشأ لمنيرة أن تغضَبَ عليه وتنفّذ تهديدها وتترك المنزل؛ فيخسر اليد الحانية التى تطبطب عليه، وتشدّ من أزره، وتؤانس وحدته في تلك الحياة الموحشة، غير أنه لن يكون مطمئنًا عليها وهي تعيش بمفردها في منزل آخر؛ فلطالما كانت منيرة له أكثر من أُمّ وإن لم يعترف بذلك.

بدّلَ ثيابه، والتقط هاتفه، وبمجرد فَتحِه للشاشة الرئيسية ظهرت له رسالة جنّة التى أرسلتها منذ بضعة ساعات ونسي الرد عليها مغلقًا قفل الشاشة على الرسالة.

*****

في تلك الأثناء كانت تجلس جنة على سريرها تطرقُ ذقنها بهاتفها، تضيّق عينها غيظًا وكمدًا، وما لبثَت أن أرسلت تسجيلًا صوتيًّا لسارة:

- عاجبِك كده يا ست سارة، ياريتني ما سمعت كلامك، أهو شاف المسدج بتاعتي ومارد‌ّش.

أجابتها سارة بعد ثوان:

- ما يمكن يا بنتي كان مشغول ولا حاجة.

- يقوم يعمل seen ومايرد‌ّش كل الوقت ده، وكرامتي بقى!

صمتت برهة، ثم كتبت لها:

- استنِّي ده بيتصل، أعمل إيه، أعمل إيه؟

- هو إيه اللي تعملي إيه! ردّي بسرعة.

استمعَت لرأيها وردّت عليه؛ فجاءها صوته هادئًا ساحرًا، أخذ لُبّها:

- جنة، آسف إني ماقدرتِش أردّ على رسالتك، بس كان عندي مأمورية مهمة و..

سرحت في حديثه، يخفقُ قلبها بترنيمة عشق فرضَتْ عليها نفسها في التو، تُحدث نفسها: "يالهوي إيه الصوت ده! وكمان بيقول آسف.. احم بطّلي بقى كلام المراهقين ده."

فسمعت صوته يناديها:

- جنة.. سمعاني؟
- آه.. آه سمعاك.
- احم.. آه، ولو متضايقة إني رفَعْت الألقاب..

قاطعته مسرعة:

- لا لا أبدًا، مفيش الكلام ده يا سيادة الرائد.
- رائد إيه بقى! بقولّك رفعنا الألقاب.

أخذت تقبض على يدها ملوّحة بانتصار، يتّسِع فمها بابتسامة صامتة، ثم قالت وهي تحبس أنفاسها اللاهثة:

- بس يعني..
- مفيش بس، اسمي هشام.. هشام وبس، اتفقنا؟

ازدردَت ريقها بصعوبة حتى ما وصل صوته إليه عبر الهاتف؛ فضحك قائلًا:

- هااه؟
- احم خلاص اتفقنا، طب قُولت إنك شُفت رسالتي...

قاطعها قائلًا:

- ومفيش داعي للاعتذار؛ لأني متأكّد إنها مش هتتكرّر تاني.

ارتفع حاجبها، وقالت في نفسها: "أهو هيقلِب طاووس تاني.. بس نينچا برضه".

بترَ تعليقها الداخلي صوتُه قائلًا:

- وقولتلِك انتِ في حمايتي، ومش هسمح بأي حاجة تمسّك، واللي يفكر بس مجرد تفكير إنه يأذيكي لازم يواجهني أنا الأول.

توقف الزمن حولها، استكانت نسمات الهواء، وتصلّبَت أنفاسها داخل صدرها، وما إن شعرت بغثيان الإعجاب حتى قرّرَت إغلاق المكالمة لئَلّا يظهر ضعفها؛ فقالت بسرعة وتلعثم:

- ميرسي... ربنا يخلّيك، طب.. طب أنا مضطرة أقفل عشان ماما بتنادي عليّا، أوك؟ باي يا سيادة الرائد.

ضحك هشام متفهّمًا ما آلت إليه نفسها، فقال مداعبًا:

- سيادة الرائد تاني؟

- طب يلّا باي.. ماما.

قالتها وأغلقت الخط، تضع يدها على قلبها تتحسّس نبضه المارد بقوته الشيطانية التي ولأول مرة تشعر بها هكذا، حتى باتَ صوتُ نبضِها يدقّ بأذنيها، بينما على الصعيد الآخر كان يحدّق هشام إلى اسمها على الشاشة متضاحكًا، وشرد بأمور شتّى راحَت تتخبط برأسه بلا هوادة.